نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

١٥١ — تكونه رأساً لخيار محمودين

في (رسالة [١] أرسطو للاسكندر):

إنك قد أصبحت ملكا على ذوي جنسك وأوتيت فضيلة الرياسة عليهم فما يشرف رياستك ويزيدها نبلا أن تستصلح العامة، وتكون رأساً لخيار محمودين لا لشرار مذمومين. فان رياسة الاغتصاب — وإن كانت تذم لخصال شتى — أولى ما فيها بالذمة أنها تحط قدر الرياسة وتزري بها، وذلك أن الغاصب إنما يتسلط على الناس كالعبيد لا كالأحرار فرياسة الأحرار أشرف من رياسة العبيد. وقد كان ملك فارس يسمي كل أحد عبداً ويدأ بولده، وهذا مما يصغر قدر الرياسة، لأن الرياسة على الأحرار والأفاضل خير من التسلط على العبيد وإن كثروا.

لا تلتفت إلى مشورة من يشير عليك بغير الذي أنت أهله. ولا تعبأ بكلام أقوام خسيسة آراؤهم ناقصة همهم يموهون عندك الأمور ويحملونك على العامة

١٥٢ — نحن لا نملك علينا من لا يشاور

يروى أن روميا وفارسيا تفاخرا، فقال الفارسي: نحن لا نملك علينا من يشاور

فقال الرومي: نحن لا نملك علينا من لا يشاور

١٥٣ — الملك الدستوري

في (الكامل) لابن الأثير: كان عضد الدولة لا يعول في الأمور إلا على الكفاة، ولا يجعل للشفاعات طريقاً. شفع مقدم جيشه (أسفار) في بعض أبناء العدول [٢] ليتقدم إلى القاضي ليسمع تزكيته ويعدله. فقال: ليس هذا من أشغالك إنما الذي يتعلق بك الخطاب في زيادة قائد، ونقل مرتبة جندي وما يتعلق بهم، وأما الشهادة وقبولها فهي إلى القاضي، وليس لك ولا لنا الكلام فيه، ومتى عرف القضاة من إنسان ما يجوز معه قبول شهادته فعلوا ذلك بغير شفاعة

١٥٤ — أنا عبد الشرع وشحنته

في (رحلة ابن جبير): حضر صلاح الدين أحد رجاله المتميزين مستعديا على رجل. فقال السلطان: ما عسى أن أصنع لك وللناس قاض يحكم بينهم، والحق الشرعي مبسوط للخاصة والعامة، وأوامره ونواهيه ممتثلة، وإنما أنا عبد الشرع وشحنته [١]، فالحق يقضي لك أو عليك

١٥٥ — تعظم النعمة في تملك سلطان عالم عادل

كتب ابن العميد (أبو الفضل محمد بن الحسين) إلى عضد الدولة [٢]:

يعد أهل التحصيل في أسباب انقراض العلوم وانقباض مددها وانتقاض مِرَرها [٣] والأحوال الداعية إلى ارتفاع جل الموجود منها وعدم الزيادة فيها — الطوفان بالنار والماء، والموتان [٤] العارض من عموم الأوباء، وتسلط المخالفين في المذاهب والآراء، فان كل ذلك يخترم العلوم اختراماً، وينتهكها انتهاكا، ويجتث أصولها اجتثاثاً، وليس عندي الخطب في جميع ذلك يقارب ما يولده تسلط ملك جاهل تطول مدته، وتتسع قدرته، فان البلاء به لا يعدله بلاء، وبحسب عظم المحنة بمن هذه صفته، والبلوى بمن هذه صورته تعظم النعمة في تملك سلطان عالم عادل كالأمير الجليل الذي أحله الله من الفضائل بملتقى طرقها، ومجتمع

---

(١) رسالة مهمة مطبوعة في أوربة

(٢) العدل من الناس المرضي قوله وحكمه، جائز الشهادة، وعدل الرجل زكاه، (اللسان)

(١) شحنة الكورة من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان (اللسان) مثل الشرطة: رجال البوليس

(٢) الثعالبي: اقرأني محمد بن الحسين الفارسي النحوي فصلا من كتاب لابن العميد إلى عضد الدولة كنت مررت عليه وأنا عنه غافل فنبهني على شرفه في جنسه؛ وحرك مني ساكنا معجبا بحسنه متعجبا من نفاسة معناه وبراعة لفظه.

(٣) المرة: طاقة الحبل، وكل قوة من قوى الحبل مرة وجمعها مرر (اللسان)

(٤) الموتان (بالضم والفتح) الموت الكثير الوقوع، الموت يقع في المال والماشية (النهاية، اللسان)

نها . وهى نور [١] توافر ممن لاقت حتى تصير إليه ، وشرّد زع [٢] حيث حلت حتى تقع عليه ، تتلفت إليه تلفت الوامق ، شوف [٣] نحوه تشوف الصب العاشق ، قد ملكتها وحشة ناع ، وحيرة المرتاع ،

١٥٦ — للرعية المنام وعلينا القيام

كان الرشيد فى بعض حروبه فألح عليه الثلج ليلة ، فقال له ض أصحابه : أما ترى ما نحن فيه من الجهد والنصب ووعثاء [٤] فر والرعية قارة وادعة نائمة ؟ !

فقال : أسكت ، فللرعية المنام ، وعلينا القيام ، ولا بد للراعى حراسة الرعية وتحمل الأذى . وإلى ذلك اشار بعضهم :

بت لغضبتك الصوارم والقنا لما نهضت لنصرة الاسلام
وا إلى كنف بعدلك واسع وسهرت تحرس غفلة النوام [٥]

١٥٧ — محلم العربى كسرى

فى (تاريخ الطبرى وشرح النهج لابن أبى الحديد) : لما م على عمر بسيف كسرى ومنطقته وزبرجه [٦] وزيه فى الباهاة به فى غير ذلك ، وكانت له عدة أزياء لكل حالة زى — قال : بحلم — وكان أجسم عربى يومئذ فى المدينة ، فألبس تاج كسرى عمودين من خشب ، وصُبّ عليه أوشحته [٧] وقلائده به ، وأجلس للناس ، فنظر إليه عمر ونظر إليه الناس فرأوا

(١) نارت المرأة من الدببة نوراً ونواراً (بالكسر) وهي نوار (بالفتح) ن نور (الأساس)

(٢) نوازع : غريبة ، تنزع إلى وطنها أى تشتاق وهي نازع بغير هاء

(٣) تشوق لكذا إذا طمح بصره إليه ثم استعمل فى تعاق الآمال والتطلب صباح) .

(٤) من المجاز : (أعوذ بالله من وعثاء السفر) : من شدته (الأساس) له من الوعث وهو الرمل والمشى فيه يشتد على صاحبه ويشق (النهاية)

(٥) ولمحمد بن يزداد فى المأمون (وكان وزيره) :

من كان حارس دنيا إنه قمن ألا ينام وكل الناس نوام
وكيف ترقد عينا من تضيفه همان من امره : حل وإبرام

(٦) الزبرج : الزينة من وشى أو جوهر ونحو ذلك ، والزبرج الذهب سان) .

(٧) الأوشحة : من جمع الوشاح (بكسر الواو وفتحها والأشاح على) كرسان (نظمان) من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف ما على الآخر ، والوشاح أديم عريض يرصع بالجواهر وتشده المرأة عاتقيها وكشحيها ، والوشاح اسم سيف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سان ، التاج)

أمراً عظيما من أمر الدنيا وفتنتها ، ثم قام عن ذلك فألبس زيه الذى يليه ، فنظروا إلى مثل ذلك فى غير نوع حتى أتى عليها كلها ، ثم ألبسه سلاحه وقلده سيفه فنظروا إليه فى ذلك ثم وضعه ثم قال : والله إن أقواماً أدوا هذا لأمناء ؟ فقال على : إنك عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا .

١٥٨ — حتى يمسكن أزواجهن عن الحركة

ابن سعيد المغربى فى بعض مصنفاته : وكان الملك العادل [١] ابن أيوب من أعظم السلاطين دهاء وحزماً ، وكان يضرب به المثل فى إفساد القلوب على أعدائه وإصلاحها له . وكان صلاح الدين — وهو السلطان — يأخذ برأيه ، وقدم له أحد المصنفين كتاباً مصوراً فى مكايد الحروب ومنازلة المدن — وهو حينئذ على عكا محاصراً للفرنج — فقال : ما نحتاج إلى هذا الكتاب ومعنا أخونا أبو بكر . . . وكان (العادل) كثير المداراة والحزم ، كثير المصانعات حتى إنه يصوغ الحلى الذى يصلح لنساء الفرنج [٢] ، ويوجهه فى الخفية إليهن حتى يمسكن أزواجهن عن الحركة [٣]

١٥٩ — وأين أنت من محادثة الرجال ؟

قال المأمون للحسن بن سهل : نظرت فى اللذات فوجدتها محلولة خلا سبعاً .

قال : وما السبع يا أمير المؤمنين ؟

قال : خبز الحنطة ، ولحم الغنم ، والماء البارد ، والثوب الناعم ، والرائحة الطيبة ، والفراش الموطأ ، والنظر الحسن من كل شىء .

قال : وأين أنت — يا أمير المؤمنين — من محادثة الرجال ؟

قال : صدقت ، هى أولى منهن

(١) محمد بن أيوب ، كان ملكا عظيما ذا رأى ومعرفة تامة قد حنكته التجارب ، حسن السيرة ، جيل الطوية ، وافر العقل ، حازما فى الأمور صالحا ، مائلا إلى العلماء ، ممتعا فى دنياه ، كان يأكل وحده خروفا لطيفا مشويا ، ولادته سنة (٥٤٠) وتوفى سنة (٦١٥) ودفن فى التربة التى بمدرسته (فى دمشق) وقبره على الطريق يراه المجتاز من الشباك المركب هناك (ابن خلكان) .

(٢) نساء ملوكهم وأمرائهم الصليبيين .

(٣) لقتاله .